ابن برّي المصري

د . محمد محمد فهمي عمر

نسبه :

هو عبد الله بن إبي الوحش بري بن عبد الجبار بن بري (١)

وبَرّيّ : بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء المكسورة ، وبعدها ياء ، وهو اسم علم يشبه النسبه (٢)

لقبه :

يلقب بالشيخ ، وبالأديب (٣)

كنيته :

يكنب بأبي محمد ، كما يكني بابن برّي ، وهو بهذه الكنية أشهر (٤) ، ويقال في نسبته (المصري) ، كما يقال بقلة (المقدسيّ) لإن اسرته من القدس ، ويقال ايضا (الشافعي) نسبة الي مذهب الفقهي ، كما يقال : (النحويّ اللغويّ) نسبة إلي ما اشتهر به من علوم العربية .

---

(١) ينظر ترجمته في : انباه الرواه للقفطي ٢/ ١١٠ ، وبغية الوعاة للسيوطي ٢/ ٣٤ ، وكشف الظنون لحاجي خليفة ص ٢١٣، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة ٦/ ٣٧ ، وهدية العارفين ١/ ٤٥٧ ، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٩٢ .

(٢) ينظر وفيات الأعيان ٢/ ٢٩٢ .

(٣) لقبه بالأديب صاحب القاموس المحيط في مادة (ب رر) .

(٤) هناك جماعة يقال لهم (ابن بري) وأكثرهم محدثون . ينظر هامش كتاب التنبيه والإيضاح ١/ ٣٩ تحقيق مصطفي حجازي ـ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٠م .

(٥) ينظر نشأة النحو للمرحوم الشيخ طنطناوي ص ١٨٤ ـ الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

حياته :

ولد ابن بري بمصر في الخامس من رجب سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، وكانت وفاته ليلة السابع والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة بمصر أيضا .

ويقول القفطي : انها كانت في ذي القعدة من السنة نفسها من غير أن يعين يوما أوليلة (١)

ونشأة ابن بريّ الأولي تشبه نشأة نظرائه من إبناء عصره من الجلوس إلي العلماء ، وتلقي العلم عنهم بالسماع ، أو الاستملاء،وكانت حلقات الدرس في مختلف العلوم والمعارف تعقد حين ذاك في جامع عمرو بن العاص ، وفي غيره من مدارس العلم .

وذكر ابن منظور في لسان العرب بعض الأخبار التي يمكن أن يفهم منها أن ابن بريّ بدأ حياته العلمية مبكراً في الخامسة عشر من عمره (٢) .

ومضي بعد ذلك يجد في تحصيل اللغة والنحو وغيرهما من علوم العربية ، ويديم الاطلاع في كلام العرب (حتي حصل له من ذلك ما لم يحصل لغيره ، وانفرد بهذا الشأن) كما يقول القفطي .

ونبوغ ابن بريّ المبكر لفت إليه الأنظار حتي أختير ليتولي

(١) إنباه الرواة ٢/ ١١٠
(٢) ينظر لسان العرب مادة (د م ث) فقد ذكر ابن منظور سبب تعلم ابن بريّ علوم العربية وروي في ذلك خبراً طريفا.

التصفح في ديوان الإنشاء ، وهو في الحادية والعشرين من عمـــــره، فكان لا يصدر كتاب عن الدولة الي ملك من ملوك النواحي إلابعد أن يتصفحه ، ويصلح ما لعله فيه من خلل خفيّ .

وقد ولي هذا العمل خلفاً لمحمد بن بركات بن هلال السعيدي (ت ٥٢٠) (١) الذي كان قد تولاه بدوره خلفاً لابن بابشاذ(٢)

شيوخه :

أخذ ابن بريّ النحو واللغة والأدب عن شيوخ عصره من المصريين والقادمين علي مصر منهم :-

(١) أبو بكر محمد بن عبد الملك الشنتريني النحويّ (ت ٥٥٠) الذي أقرأه كتاب سيبويه .

(٢) أبو طالب عبد الجبار بن محمد علي المعافري القرطبي(ت ٥٦٦)

(٣) علي بن جعفر بن علي بن القطاع (ت ٥١٥) سمعه يروي صحاح الجوهري للمصريين .

(٤) أبو عبد الله بن بركات بن هلال السعيدي (ت ٥٢٠) الـذي أخذ عنه (تعليق الغُرفة) (٣) وخلفه في ديوان الإنشاء .

---

(١) كان عالما مبرزا في النحو واللغة والأدب ، تتلمذ علي يد ابـــن بابشاذ ، وولي بعدة التصفح في ديوان الإنشاء . البغية ٥٩/١ .

(٢) هو أبو الحسن طاهر بن أحمد المصري ، وأصله من الديلم ولد ونشأ بمصر تولي ديوان الإنشاء للفاطميين ، توفي سنة ٤٦٩ هـ . نشأة النحو ص ١٨٣ .

(٣) تعليقه في النحو صنفها ابن بابشاذ ، يقول عنها ابن خلكان : إنها لو بيضت لقاربت خمس عشر مجلدة ، وسماها النحاة الذيـن

تلاميذه :

صحب ابن بريّ خلق كثير ، انتفعوا بعلمه وفضله منهم :-

(١) أبو موسي الجُزُولي (ت ٦٠٧ هـ) صاحب المقدمة في النحو وقد ورد ذكر ابن بريّ فيها ، ونقل عنه في آخرها .

(٢) سليمان بن بنين بن خلف تقي الدين الدقيقي النحوي (ت ٦٦٤هـ) قرأ عليه في النحو ، وسمع منه .

(٣) يحيي بن عبد الله بن يحيي ، إبو الحسن النحويّ المصريّ (ت ٦٣٣ هـ) وهو الذي ولي التصفح في ديوان الإنشاء خلفاً لابن بريّ .

وغيرهم كثير . (١)

مؤلفاته :

م ذكرت المصادر التي ترجمت لابن بريّ أن له عدة مؤلفات بـ عشرة :-

(١) كتاب التنبيه والإيضاح عما وقع في الصِحّاح . حقق الجزء الأول منه مصطفي حجازي والجزء الثاني عبد العليم الطحاوي .

(٢) جواب المسائل العشر ، وهي المسائل التي سأل عنها إبو نزار الملقب بملك النحاة وهذه المسائل أوردها السيوطي في الأشباه والنظائر تحت عنوان (المسائل العشر المتعبات إلي الحشر)(٢)

= وصلت اليهم بعده تعليق الفرقة، وقد انتقل هذا التعليق الي ابن هلال السعيدي ، ثم إلي ابن بريّ - وفيات الاعيان٢/ ١٩٩.

(١) ينظر التنبيه والايضاح ١/ ٤٣، ٤٤ .

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي ٢٣٨/٣:٢٦٤ط دار الكتب العلمية - بيروت ...

(٣) حاشية علي درة الغواص علي أوهام الخواص للحريري (ت ٥١٦هـ)

(٤) حاشية علي المعرب للجواليقي (ت ٥٤٠ هـ) .

(٥) اللباب في الرد علي ابن الخشاب (ت ٥٦٧ هـ) .

(٦) شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسيّ (ت ٣٦٨ هـ)

(٧) الأخبار في اختلاف أئمة الأمصار . وهو كتاب مفقود (١)

(٨) تملط الضعفاء من الفقهاء ، وهو مجموعة من أخطاء الفقهاء في استعمال الألفاظ وقد نشره المستشرق توري سنة ١٩٠٦م

(٩) القصيدة الخالية : قصيدة من بحر الطويل بني قافيتها علي كلمة (الخال) وقد ذكرها صاحب اللسان .

(١٠) القصيدة الحالية : قصيدة من بحر البسيط بني قافيتها علي كلمة (الحال) وقد ذكرها صاحب اللسان في مادة (ح و ل) (٢)

وهاتان القصيدتان تدلان علي أن ابن بريّ كان يجيد قرض الشعر.

مكانته وآراء العلماء فيه

كان ابن بريّ علماً من أعلام العربية ، أثني عليه كل من ترجم له ، قال عنه السيوطي : (لم يكن في الديار المصرية مثله) (٣)

وقال القفطي : (كان جمّ الفوائد كثير الإطلاع عالماً بكتاب سيبويه وعلله وبغيره من الكتب النحوية ، قيما باللغة وشواهدها ...الخ)(٤)

ووصفه ابن خلكان بالامام المشهور في علم النحو واللغة والرواية والدراية علامة عصره وحافظ وقته ونادرة دهره)(٥)

(١) ينظر كتاب التنبيه والايضاح (٤٥/١)
(٢) ينظر كتاب التنبيه والايضاح (١/ ٤٤ـ ٤٦
(٣)ينظر بغية الوعاة ٣٤/٢ (٤) إنباه الرواة ٢/ ١١٠
(٥) وفيات الأعيان ٢/ ٢٩٢

ويصفه ابن حجر بأنه (شيخ العربية بمصر) (١)

جوانب من آرائه اللحوية والصرفية

بعد أن عرفنا مكانته ابن بريّ العلمية يجدر بنا أن نسير مع الرجل في رحاب آرائه النحوية والصرفية نقتطف منها بعض الأزاهير التي ترشدنا وتقف بنا علي أسلوبه ومنهجه في هذا المجال .

(١) يقول ابن بريّ في كتابه (التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح مادة (ب ر أ) :

(وذكر (١) في فصل (برأ) : بَرِئتُ أَبرَأُ ، وَبَرأتُ أيضا أبرَأُ)

ويعلق ابن بريّ علي الجوهري بقوله : (لم يذكر بَرَأتُ أَبرُؤُ بالضم في المستقبل . وقد ذكره سيبويه ، وأبو عثمان المازني وغيرهما من البصريين ، وإنما ذكرتُ هذا لأن بعضهم لحن بن برد في قوله :

نَفَرَ الحيُّ من بكائي فقالوا .. فُز بصَبرٍ لعلّ عَينَكَ تَبرُؤُ

مَسَّهُ من صدودِ عَبدَةٌ ضُرّ .. فنباتُ الفؤاد ما تستقِرُّ

ثم ذكر قول الجوهري : (رجل بريء وبُراي مثل عجيب وعُجاب) وعلق عليه بقوله (المعروف في بُراء أنه جمع لا واحد له ، وعليه قول الشاعر :

---

(١) تبصير المنتبه ص ١٣٩ .
(٢) إي الجوهري في الصحاح .

رأيت الحرب يَجنيها رجالٌ .. ويَصليَ حَرَّها قومٌ بُـــراءُ

ونص ابن جني علي كونه جمعاً فقال : جُمعَ برِيء علي أربعة مـــن الجموع :

بَريء ، وبراء مثل ظريف وظراف ، وبَريء وبُرآء مثل شريف وشُرفاء وبَريء وأَبرياء مثل صديق وأصدقاء ، وبريء وبُراء مثل ما جـــاء من الجموع علي فُعال نحو : ثُوامٍ ورُبابٍ في جمع ثَوءم ورُبَّي) (١)

(٢) وفي كتابه التنبيه والايضاح أيضا مادة (درأ) يقول :

(وذكر في فصل (درأ) أن أبا عبيدة قال : دريّ يكون منسوباً إلي الدُّر علي فُعليّ ، ولم يهمزه ، لأنه ليس في الكلام فُعِّلٌ) (٢)

ثم علق علي ذلك بقوله : (قد حكي سيبويه أنه قد جـــاء في الكلام فُعِّيل وهو قولهم : مُرِّيق للعُصْفُر ، وكوكـــب دُرِّيّ) (٣) .

---

(١) كتاب التنبيه والإيضاح ١/٧ مادة (برأ) .

(٢؛ كتاب التنبيه والايضاح ١/ ١٥

(٣) المرجع السابق - وقُريء قوله تعالي : (الزجاجا كأنها كوكب دِرِّيء) النور آية ٣٥ بفتح الدال وكسرها ، قال الأخفش فـــي معاني القرآن ٢/ ٦٤ (كوكبٌ دُرِّيّ إذ جعله من الدُّر، ودِرِّيء من درأ همزهـا وجعلها فِعِّيل ، وذلك من تلألئة ، وقال بعضهـــم (دَرِّي) مثل فَعِّيل) ولم يقرأ أحد من القراء (دُرِّيء) ---

(٣) وفي مادة (ش ي أ) من الكتاب السابق يذكر ما نقله الجوهري عن الخليل بن أحمد ويعلق عليه ـ قال ابن بريّ (وذكر في فصل (شيأ) أن الخليل يري أن أشياء فَعلا ، جُمعَ علي غير واحده ، كما أن الشعراء جمع علي غير واحده)

ويعلق علي ذلك فيقول :

(حكايته عن الخليل أنها جمع علي غير واحده كشاعر وشعراء وهمّ منه ، بل واحدها شيء ، وليست أشياء عنده بجمع مكسر وإنما هي اسم واحد بمنزلة الرِّفاء والقصباء والحلفاء ، وبكنه يجعلها بدلاً من جمع مكسر ، بدلالة إضافة العدد القليل إليها كقولهم : ثلاثة أشياء ، وأما جمعها علي غير واحدها فذلك مذهب الأخفشي ، لأنه يري أن أشياء وزنها أفعلاء ، وأصلا أشيئاء ، فحذفت الهمزة تخفيفا ، وكان أبو علي يجيز قول أبي الحسن علي أن يكون واحدها شيئا ، ويكون أفعلاء جمعا لفَعل في هذا كما جمع فَعل علي فُعلاء في نحو سَمحَ وسِمحاء ، وهو وهم من أبيّ علي ، لأن شيئاً اسم ، وسمحاً صفة بمعني سميح ، لأن اسم الفاعل من سَمُحَ قياسه سميح ، وسميح يجمع علي سُمحاء كظريف وظُرفاء ، ومثله خصم وخُصماء ، لأنه في معني خصيم .

= بضم الدال مع الهمز ، ولم أجد في كتاب سيبويه ما يعضد حكاية ابن بريّ عن سيبويه . ـ ينظر كتاب سيبويه (/ ١٦٧ ،٨٩/٢ هارون ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٢ والبحر المحيط ٤٥٦/٦ ـ ومختصر في شواذ القرآن لابن حالوين ص ١٠٢ .

والخليل وسيبويه يقولان : أصلا شيئاء ، فقدمت الهمزة التي هي لام الي أول الكلمة ، فصارت أشياء . فوزنها علي هذا الفعاء ، ويدل علي صحة قولهما أن العرب قالت في تصغيرها أشياء ، ولو كانت جمعاً مكسراً كما ذهب اليه الأخفش لقيل في تصغيرها شُيَيئات كما يفعل ذلك في الجموع المكسرة كجمال وكعاب وكلاب . يقول في تصغيرها : جُميلات ، وكُعيبات ، وكُليبات ، فتردها إلي الواحد ثم تجمعها بالألف والتاء) (١)

وينكر ابن بري قول الجوهري : (أن أشياء يجمع علي أشاوي ، وأصله أشائِيٌ قلبت الهمزة ياء ، فاجتمعت ثلاث ياءات ، فحذفت الوسطي ، وقلبت الأخيرة ألفا ، وأبدلت من الأولي واو كما قالوا : أتيته أَتوَه) (٢)

ويعلق ابن بري علي ذلك فيقول : (قوله : وأصله أَسَائِيٌ سهو وإنما أصله أشِائِيٌ بثلاث ياءات ، ولا يصح همز الياء الأولي لكونها أصلا غير زائدة كما تقول في جمع أبيات : أبابيت ، فلا تهمز الياء التي بعد الألف لأصالتها ، ثم خفت الياء المشددة كما قالوا في صحارِيٌ صحارٍ ، ثم إبدل من الكسرة فتحه ، ومن الياء ألف ، فصار أشايا ، كما قالوا في صحارٍ : صحارَي ثم أبدلوا من الياء واواً كما أبدلوهما في جبيت الخراج جباية وجباوة .

(١) كتاب التنبيه والايضاح ١/ ٢١ ، ٢٢
(٢) المرجع السابق ١/ ٢٢

وعند سيبويه أن أشادَي جمع لإشاوة وإن لم ينطق به) [١]

ثم يذكر الجوهري رواية عن المازني فيقول : (أن أبا عثمان المازني سأل أبا الحسن الأخفشي : كيف تصغر العرب أشياء؟ فقال : أشياء ، فقال تركت قولك : لأن كل جمع كُسّر علي غير واحده ، وهو من ابنية الجمع ، فإنه يرد بالتصغير إلي واحده)

ويعلق ابن بري علي هذه الرواية بقوله : (هذه الحكاية مغيّرة لأن المازني إنما أنكر علي الأخفشي تصغير أشياء ، وهي جمع مكسر للكثير من غير أن يرد الي الواحد ، ولم يقل له (إن جمع كُسّرَ علي غير الواحده) لأنه ليس السبب الموجب لرد الجمع الي واحده عند التصغير هو كونه كُسِّرَ علي غير واحده وإنما ذلك لكونه جمع كثرة لأقله)

ثم ذكر الجوهري حكاية عن الفراء أن أصل شيٍ شيٌّ ، فجمع علي أفعلاء مثل هيّن وأهيناء .

ويعلق ابن بري علي هذه الحكاية فيقول : هذا سهو ، وصوابه : أهوناء ، لأنه من الهَونِ ، وهو اللين) [٢]

(٤) ذكر الجوهري في مادة (نسأ) بيتاً شاهداً علي قول العرب نسأته نَسِئَة : إذا زجرته وسقته ، وهو :

---

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق ١/ ٢٢ ، ٢٣ .

وما أمُّ خِشف بالعَلايَة شادنٍ .. تُنسِّئُ في بردالظِّلالِ غزالها (١)

ويعلق ابن بري فيقول : (البيت للأعشي ، وخبر (ما) في ا البيت الذي يليه ، وهو :

بأحسن منها يوم قام نواعِم .. فأنكرن - لمّا رآجَهتهُن - حالها) (٢)

(٥) ذكر الجوهري في مادة (ود أ) بيتاً شاهداً علي قول العرب : ودَّأتُ عليه الأرض أي : سَوّيتُ ، وهو :

أأُبَيُّ ان تصيح رهين مُوَدَّإٍ .. زَلِجُ الجوانب قعْره مَلحودُ

ويعلق ابن بري علي هذا القول فيقول : (البيت لزهير بن مسعود الضبي ، وجواب الشرط في بيت بعده ؛ وهو :

فلربّ مكروب كررتُ ورايره .. فطعنته وبنو أبيه شهودُ) (٣)

(٦) ذكر الجوهري في مادة (صحب) عجز بيت شاهداً علي صِحاب جمع صاحب وهو :

.. وقال صِحابي قد شأُونك فاطلب ..

وعلق ابن بري علي هذا فقال : (البيت لامرئ القيس ، وصدره:

.. فكان تناوبنا وعَقدُ عِذارهِ ..

واغني من خبر كان الواو التي في معني مع كأنه قال : فكان تناديا مع عقد عذاره ، كما قالوا: كل رجل ضعته ، فكل : مبتدأ ، وضيعته معطوف علي كل ، ولم يأت له بخبر ، وإنما أغني عن الخبر كون الواو في معني مع ، والصيغة هنا: الحرفة فكأنه قال : إكل رجل مع حرفته ، وكذلك قولهم : كل رجل

(١)كتاب التنبيه والايضاح ١/ ٣٠، ٣١
(٢) المرجع السابق ١/ ٣١ (٣) المرجع السابق ١/ ٣٣

وشأنه) [١]

(٧) ذكر الجوهري في فصل (قرب) أن (قريب) من قوله تعالي : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) [٢] ذُكرَّ على معني الإحسان .

وعلق ابن بري علي قول الجوهري فقال : (ذكر الفراي أن العرب تفرق بين القريب من النسب ؛ والقريب من المكان فيقولون : اهذه قريتي من النسب ، وهذه قَرِيبِي من المكان ويشهد بصحة قوله قول اكريُ القيس :

له الوَيْلُ ان أمسَي ولا أمُّ هاشمٍ .. قريب ولا البَسبَاسَة ابنةُ يشكر

فذكر قريبا ، وهو خبر عن أم هاشم ، فعلي هذا يجوز هند قريب مني ، زيد قرب المكان ، وقريبة مني تريد قرب النسب .

ويقال : إن فعيلاً يحمل علي فَعُول ، لأنه بمعناه مثل : رحيم ورَحُوم وفعول لا تتدخله الهاء نحو : امرأة صبور ، فلذلك قالوا : رِبح خريق وكنيته خصيف [٣] وفلانة مني قريب .

وقد قيل : إن قريبا أصله في هذا أن يكون صفة لمكان كقولك : هي مني قريب أي مكانا قريبا ، ثم اتِّسع في الظرف

---

(١) ينظر كتاب التنبيه والايضاح ١/ ١٠٢
(٢) سورة الأعراف الآية ٥٦
(٣) كتيبة خصيف : (لون الحديد، ويقال : خُصِفَتَ من ورائها ===

فرفع وجعل خبرا) (١)

وبعـــــد :

فهـذه جوانب يسيرة من آراء ابن بريّ المصري النحويـــــة والصرفيـة من خـــلال كتابـه (التنبيه والايضاح عما وقع في الصحاح) تدلنـا علي عمق صاحبهـا في نظرتـه النحوية والصرفية وسعة اطلاعـــه وراعته في التحليل ، ودقته في الاستشهاد .

والله أعـلم ،

دكتـور

محمد محمد فهمي عمـــــر

مدرس اللغويات في كلية اللغة العربيـة

بأســـــيوط

= بخيل أي : أردفت فلهذا لم تدخلها الهاء ، لأنها بمعني مفعولة فلو كانت للون الحديد لقالوا : خصيفة لأنها بمعني فاعلة، وكـل لونين اجتمعا فهو خصيف) اللسان (خصيف)

(١) كتاب التنبيه والايضاح ١/ ١٢٩